و سبق انّ الوجود حقيقة واحدة لاتكثّر فيه بوجهٍ من وجوه التّكثّر، وانّ تكثّر لايكون الاّ بضمائم، فاذا كان القديمان واجبين بالذّات كانا مشتركين فى حقيقة الوجود، وتعدّدهما وافتراقهما لايكون الاّ بضميمةٍ ولااقلّ من انضمام ضميمةٍ الى واحدٍ منهما حتّى يصحّ الافتراق بالاطلاق والانضمام ولايكون الضّميمة من سنخ المهيّات والاّ لزم ان يكون الكلّ ممكناً حادثاً هذا خلاف الفرض.

بيان الملازمة انّ المركّب تابع لاخسّ اجزائه والمهيّة من حيث ذاتها لاتكون الاّ ممكنةً، والممكن لايكون الاّ حادثاً فالكلّ الّذى صارت المهيّة جزءً له لايكون الاّ ممكناً حادثاً ولاتكون من سنخ العدم وهو واضح فيكون من سنخ الوجود فيصير المفروض آلهين ثلاثةً و لمّا كانت الثّلاثة مشتركة فى حقيقة الوجود فلايكون التّعدّد الاّ بضمائم و اقلّها ضميمتان فيصير الثّلاثة خمشةً، وننقل الكلام الى الخمسة فتصير تسعةً وهكذا الى مالانهاية له وهذا البرهان بعد اتقان المقدّمات من اسدّ البراهين واتمّها لانّه يؤخذ من النّظر الى نفس حقيقة الوجود من غير اعتبار شيءٍ آخر معها.

وكما لايحصل المعرفة التّامّة بالله الاّ يرفع الحجب والمظاهر ونفى الاسماء والصّفات وكشف سبحات الجلال من غير اشارة وذات للعارف .

كما ورد عنهم عليهم السلام اعرفوا الله بالله يعنى لا بمظاهره واسمائه وصفاته لايحصل العلم التّامّ بـالله الاّ بـرفع النّـظر عـن المـعاليل والتّوجّه الى الله وتحقيق حقيقته واخذ البرهان عليه من نفس حقيقته حتّى يقال علمت الله بالله.

والحاصل انّه لو كان الواجب مـتعدّداً لزم انـقلاب الواجب ممكناً وفيه بطلان العالم وفساد السّماوات والارض لانّها ممكنة والممكن مالميستند الى واجب لميوجد، او صيرورة المتّعدّد واحداً وهو المطلوب، او عدم انتهاء عدد الواجب الى حدّ وهـو خـلاف المدّعى.

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ يـعنى اذا كـان التّـعدّد مـورثاً لابـطال السّماوات والارض فتنزّه الله تنزّهاً ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الّذى هو جملة المخلوقات ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ اى عن الّذى يصفونه به من الشّريك او عن وصفهم له بالشّريك.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ حـال او جـواب لسـؤالٍ مـقدّرٍ او معترضة والمقصود انّه لايحكم عليه بالسّؤال عنه فى افعاله ليكون دليلاً على الهته ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ يعنى يحكمون عليهم ليكـون دليلاً على عـدم آلهـتهم والضّـمير راجـع الى المـعبودين او الى العابدين والمعبودين، او الى العابدين فقط للتّهديد.

او المعنى لاينبغى ان يسأل عمّا يفعل لانّه لايفعل مايفعل الاّ

لحكم ومصالح عديدةٍ متقنةٍ لايـمكن احـصاؤها وهـم يـنبغى ان يسألون بجهلهم بالغايات وعدم اهتدائهم الى المصالح.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ دون بمعنى تحت وفوق وبمعنى امام ووراء من الاضداد وبـمعنى غـير وبـمعنى المكـان القريب من الشّيء و المناسب ههنا ان يجعل دون بمعنى امـام او عند يعنى بمعنى المكان القريب حتّى يكون تأسيساً.

فانّ قوله تعالى له من فى السّماوات والارض ومـن عـنده ابطل تجويز كون شيءٍ فى العالم الهاً عبد ام لم‌يعبد، وقوله تعالى ام اتّخذوا آلهة من الارض ابطل تجويز جعل شيءٍ بالمواضعة من عند انفسهم آلهاً فان اتّخاذ الالهة مـن الارض سـواء جـعل مـن الارض صـفة لآلهـة او مـتعلّقاً بـاتّخذوا يشـعر بكـون الاتّـخاذ بالمواضعة من عند انفسهم، لامن عندالله.

و قوله تعالى ام اتّخذوا من دونه آلهة يشعر بكون الاتّخاذ بالمواضعة الآلهيّة وباذنه واجازته كما اذا قيل جعلوا اميراً لهم من ملكهم.

و قيل: جعلوا اميراً لهم من عند الملك، فانّ الاوّل يدلّ على انّ الجعل كان بالمواضعة من عند انفسهم، والثّانى يدلّ على كون ذلك باذن الملك وتقديم من دونه ههنا على الآلهة لشرافته باضافته الى الله تعالى و هو حال من آلهةٍ او متعلّق باتّخذوا.

﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ لمّا كان الاتّخاذ بالمواضعه من عند انفسهم يستدعى صحّة الالهة فى نفس الامر للمأخوذ آلهاً ابـطل آلهة المأخوذين آلهة اوّلاً بقوله على سبيل الانكار هم يـنشرون وابطل آلهة مطلق مايتصّور آلهاً ثانياً بقوله لوكان فيهما (الآية) بعد ماابطل الآلهة مطلق قبل ذلك بـقوله: وله من فى السّـماوات (الى آخرها) ولمّا كان الاتّخاذ بالمواضعة الآلهيّة لايستدعى صحّة الآلهة فى نفس الامر بل يكفى صحّة كون المأخوذ آلهاً باذن الله مـظهراً لآلهة الله بخروجه من حدود نفسه وظهور ربّه فيه قال قل هـاتوا برهانكم على اذن الله فى آلهة شيءٍ ممّا اخذتموها آلهة، ولمّا كان الامر للتّعجيز.

والمقصود منه نفى البرهان على المدّعى قـال ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ فى مقام التّعليل لعدم البرهان يعنى هذا القرآن ذكر من معى موجود واحكامهم ﴿وَ ذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ ولم‌يكن فى احكام من معى ولا فى احكام من قبلى مايدلّ على اذنه تـعالى فـى اتّـخاذ مااخذتموه الهةً ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْـحَقَّ﴾ الاوّل تـعالى وصفاته حتّى يعلموا اذنه وترخيصه فى آلهة شـيءٍ او لايـعلمون الحقّ الثّابت فيتفوّهون بما يتخيّلون من غير علم بحقّيّته كالمجنون.

و التّقييد بالاكثر لانّ الاقلّ مـنهم يـعلمون بـطلان الآلهـة ويقولون بآلهتها لاغراضٍ نفسانيّةٍ.

وقرئ الحقّ بالرّفع خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدء خبرٍ محذوفٍ ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن الحقّ لذلك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ جملة حاليّة.

﴿مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ لمّا كان الوحى خاصّاً بالرّسول والعبادة عامّة له ولامّته افرد ضمير اليه وخاطب الجميع فى الامر بالعبادة.

و يجوزان يكون قوله ومارسلنا عطفاً باعتبار المعنى ويكون فيه معنى الاضراب والتّرقّى كأنّه تعالى قال حين قال هاتوا برهنكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ليس لهم برهان على الاتّخاذ لانّ برهان هذا المطلب ليس الاّ الوحى .

وليس فى الوحى اذن و ترخيص فى اتّخاذ آله سواه بل مارسلنا قبلك من رسولٍ الاّ نوحى اليه بالتّوحيد وخلع الانداد لابالاشراك واتّخاذ الانداد.

﴿وَقَالُواْ﴾ عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: قالوا اتّخذنا آلهةً: او جعل الله لنا آلهة وقالوا ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾ يعنى القائلين بانّ الملائكة بنات الله والقائلين بانّ عزيراً ابن الله، والمسيح ابن الله.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزّه تنزّهاً عن الصّاحبة والولد ﴿بَلْ﴾ الملائكة والمسيح وعزير ﴿عِبَادٌ﴾ لله ﴿مُّكْرَمُونَ﴾.

اعلم، انّ الاشياء كما سبق مكرّراً حقائقها وذواتها عبارة عن

فعليّاتها الاخيرة، واسماؤها واحكامها جارية على تلك الفـعليّات، وانّ الانسان اذا بايع البيعة الخاصّة الولويّة يحصل له فعليّة هـى فعليّته الاخيرة، وتلك الفعليّة تنعقد بالولاية كانعقاد اللّبن بالانفحة.

و بذلك الانعقاد يحصل له نسبة الى صاحب الولاية والبيعة ويعبّر عن تلك النّسبة بالبنوّة والابوّة وبحكم المنطوق الصّريح من قوله تعالى: انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله، يصدق على تلك النّسبة انّها نسبة بين العبد وبين الله.

و بهذا الاعتبار قالت اليهود: نحن ابناء الله، وبهذا الاعتبار انّ النّسبة الجسمانيّة والاضافة المعبّر عنها بالابوّة والبنوّة كانت منتفية عن المسيح، وباعتبار انّ بدنه صار محكوماً بحكم روحه .

قالت النّصارى: المسيح ابن الله ولم يقولوا فـى غـيره ذلك، وهكذا الحال فى عزير، ولمّا كان الاتباع تفوّهوا بهذا القول من غير تحقيقٍ وتـحصيلٍ ولم يـدركوا مـن الولادة الاّ الولادة الجسـمانيّة المستلزمة لمفاسد كثيرة فى حقّه تعالى ردّ الله تعالى عليهم واثبت العبديّة لهم لاالولادة والسّنخيّة.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ﴾ الباء بمعنى فى او للّسببيّة ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ كان الاوفق بالمعطوف عليه ان يقول ويعملون بامره لكنّه اراد الحصر فى المسنداليه وحصر عملهم فى كونه بأمره فغيّر الاسلوب ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المراد بما بين ايديهم كما

اسلفنا مكرّراً امّا الدنيا او الآخرة.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعلم بالمقايسة وهو جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يعلم الله جهة دنياهم وجهة آخرتهم حتّى يجوز له الامر فيما يحتاجون ايه فى دنياهم وآخرتهم؟

فقال: يعلم ذلك منهم.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ الله طينته فانّ الشّفاعة غير مقصورة على من آمن او المعنى الاّ لمن ارتضى الله ان يشفع له ﷺ فيكون فى معنى من ذاالّذى يشفع عنده الاّ باذنه.

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ لامن غير خشيته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ الخشية كما سبق خوف مع ترحّم فانّها حالة ممتزجة من لذّة الوصال والاستشعار بالفراق، او الفوات والاشفاق كذلك الاّ انّه قديلاحظ الهيبة فى الخشية والاعتناء فى الاشفاق والمعنى انّهم لاجهة خوف فيهم سوى جهة الخشية من الله فعلى هذا يكون من للتّعليل.

والتّقديم للحصر، او المعنى انّهم لاجل الخشية من الله مشفقون فى اهلهم، او على خلق الله، او المعنى انّهم على خشيته مشفقون يعنى انّهم بواسطة ادراك لذّة الوصال فى الجملة فى الخشية يحبّون الخشية و يخافون فوتها فيكون لفظ من صلةً للاشفاق فانّه قديتعدّى بعلى اذا لوحظ فيه جهة التّرحّم.

وقديتعدّى بمن اذا لوحظ فيه معنى الخوف ﴿وَمَن يَقُلْ

مِنْهُمْ﴾ من الخلق او من العباد المكرمين ﴿إِنِّيٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ ظرف لغو متعلّق بيقل اى من يقل من غـير اذنـه انّـى اله بـمعنى المربّى فى الطّاعة ولذلك فسّر انّى بانّى امام.

او ظرف مستقرّ صفة لآله ولفظة من للتّبعيض اى آله ثابت بعضاً من غيره ﴿فَذَٰلِكَ﴾ اسم الاشارة البعيدة لتوهينه وتبعيده عن ساحة الحضور.

﴿نَـجْزِيهِ جَـهَنَّمَ كَـذَٰلِكَ نَـجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لآل محمّدﷺ بغصب حقّهم او الظّـالمين بـمنع الحـقّ عـن المسـتحقّ واعطائه لغيره فانّه لايكون الاّ عن الانانيّة الّتى هى نحو آلهة فى مقابل الله تعالى ومغايرة له تعالى.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ التّقدير الم ينظر الّـذين كـفروا ولم‌يروا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْـقًا فَـفَتَقْنَـٰهُمَا﴾ يعنى انّ السّماوات و الارض الطّبيعيّتين كانتا منضمّتين مجتمعتين فى وجودٍ واحدٍ جمعىّ فى مقام المشيّة، ثمّ فى مقام العقول.

ثمّ فى مقام النّفوس ففتقناهما فى مقام الطّبع وفصّلناهما، او سماوات الارواح الاشباح كانتا رتقاً فـى مـقام المشـيّة والعـقول والنّفوس ففصّلناهما.

او السّماوات والارض الواقعتين فى العالم الصّغير كانتا رتقاً فى النّطفة والجنين ففتقناهما، او السّماوات والاراضى كانتا رتـقاً

غير ممطرةٍ وغير منبتةً ففتقاناهما بالمطر و النّبات.

وعلى بعض التّفاسير استعمال الرّؤية امّا يجعلها بمعنى العلم، او بادّعاء انّ الرّتق والفتق من الحسّيّات او كالحسّيّات، وعدم الرّؤية من عدم الالتفات.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ عطف على فتقنا والتّقدير جعلنا من مائها كلّ شيءٍ حيٍّ بالحيوة الحيوانيّة او بالحيوة النّباتيّة و الحيوانيّة و خلق الحيوان من الماء الّذى هو النّطفة الّتى هى مادّة له وخلق النّبات من الماء الّذى هو سبب لخلقه وانباته.

او التّقدير جعلنا بعد الفتق من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ ﴿اَ﴾ يعرضون عن تلك الآيات الّتى هى آيات علمه وحكمته وقدرته و تصرّفه تعالى فى الجليل و الحقير.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولايذعنون به ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ بعد فتقهما ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ قدسبق الآية بتنزيلها و تأويلها.

﴿وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ جمع الفجّ الطّريق الواسع بين الجبلين، او مطلقاً كالفجاج بالضّمّ ويستفاد من تنزيل الآية السّابقة و تأويلها بيان هذه ﴿سُبُلاً﴾ بدلٌ من فجاجاً.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الى معايشهم و مصالحهم ومنافعهم ودفع مضارّهم والى بلادهم الصّوريّة ومواطنهم الحقيقيّة ﴿وَ جَعَلْنَا

ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ من الاندراس والفناء الى الوقت المعلوم، او من الوقوع على الارض، او من الاستراق السّمع.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ فانّ الآيات الدّالّة على وجود الصّانع وعلمه وحكمته واعتنائه بخلقه وقدرته كثيرة وهم مثل اهل زماننا كانوا لايعتبرون بها بل كانوا عنها معرضين.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الّذين هما من آياتها و بها يناط اكثر الآثار السّفليّة، والجملة عطف على قوله: هم عن آياتها معرضون، او حال عن الفاعل المستتر فى معرضون او عن آياتها،كما انّ قوله وهم عن آياتها معرضون.

حال عمّا سبق والمعنى جعلنا السّماء سقفاً محفوظاً كثير الآيات و الحال انّهم معروضون عن آياتها غير ناظرين اليها والحال انّا خلقنا اللّيل والنّهار اللّذين هما مشهودان لهم وهما من آيات السّماء و يترتّب عليهما حكم ومصالح كثيرة ولاينبغى الغفلة والاعراض عنهما.

﴿وَ﴾ خلقنا ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ اللّذين هما من اعظم آياتها ولايتكوّن متكوّن الاّ بتأثيرهما، وكلّ من نظر اليهما بالتّأمّل الّذى هو من شأن الانسان يدرك انّهما اعظم قدراً واكثر اثراً واشدّ ظهوراً من ان يغفل عنهما او لايدرك منهما دلالتهما على مبدءٍ عليمٍ حكيمٍ قدير.

﴿كُلٌّ﴾ من الشّمس والقمر ﴿فِـى فَـلَكٍ يَسْـبَحُونَ﴾كـان الظّاهر ان يقول: كلّ فى فلكٍ يسبح ان قدّر كلّ منهما او يسبحان او يسبح ان قدّر كلّهما بمعنى كليهما لكنّه تعالى للاشعار بكثرة افراد كلّ من الشّمس والقمر طولاً كماورد: انّ وراء عين شمسكم هـذه تسعاً وثلاثين عين شمس، ووراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمراً، وبكثرة افرادهما عرضاً كما شاع فى زماننا من حكماء الافرنج انّ الكواكب بعضها شموس منيرة بذاتها، وبعضها اقمار مستنيرة من غيرها، اتى بالعبارة هكذا ليكون المـعنى كـلّ جـماعة مـن افـراد الشّمس وافراد القمر فى نـوعٍ مـن الفـلك روحـانيٍّ او جسـمانيٍّ يسبحون فانّ الافلاك كالكواكب كماتكون روحانيّة كماقيل:

آسمانهاست در ولايت جـان كـارفرماى آسـمان جـهان

والاتيان بضمير ذوى‌العقول للاشارة الى انّه ذووشعورٍ وعلم كماقيل:

خـرمگس خـنفسا حـمار قـبان

همه با جان و مهر و مه بى‌جان

واستعمال السّباحة لتشبيه الفـلك بـالبحر والنّـهر وتشـبيه الكواكب بالسّابح ﴿ وَمَا جَعَلْنَا﴾التـفات مـن الغـيبة الى التّكـلّم كماكان ماقبله التفاتاً من التّكلّم الى الغيبة وهو عطف اوحال عن سابقه وانكارٌ لما قالوا من انّانتربّص به ريب المنون .